٨١ — الصبي الأعرج

كان اسمه خليلاً . ولكنّ أحداً من الناسِ لا يعرفه بهذا الاسم . هم ينادونه «أعرج» حتى كاد هو نفسه ينسى اسمه الحقيقي .

ولا أحد يعرف مَن أبوه وأمه، وأين مسكنه . شحّاذ من ملاعين الدنيا قذفته الحياة قذفاً .

في الثالثة عشرة من عمره، على وجهه بُقَع من الغبار . يجرُّ طول النهار وقسماً كبيراً من الليل، رجله العوجاء من مكان الى آخر . كلما خطا خطوة اندفع رأسه الى الأمام . وهو مضطرّ الى الدوران في الشوارع : من شارع الى شارع ، ومن دكان الى دكان، ومن رَجُل الى رَجُل، ومن امرأة الى امرأة ... ويَمُدُّ كفّه ويبتسم ابتسامة باكية .

رفاقه الشحاذون — صغاراً وكباراً — لكلٍّ واحد منهم اغنية يردّدها على المحسنين ، أمّا هو فلا يجيد الثرثرة ... يبقى صامتاً كالأخرس ، لولا ابتسامته الحزينة ، ولولا يدُه الممتدة المغلولة بعبودية الفقر ، الراجفة كورقة الخريف، لولا ذلك لظنّه الناس صنماً .

والبشر يحبّون الثرثرة . لا يُعطون الصدقة إلاّ بثمنها عداً ونقداً . ولكن الأعرج لا تتحرك شفتاه بدعاء، ولا يشكر قبل الاستجداء ولا بعده . واذا ظَفِرَ بقرش أو نصف قرشٍ حدّق إليه وقلبَه مرتين ثم وضعه في جيب قميصه القذِر المرقّع ...

توفيق عوّاد